أهمية مدخلات التطور الحضاري في تقدم البلدان

أ.م.د. محمد احمد هربود العيساوي
جامعة تكريت – كلية التربية

المقدمة: تناولت هذه الدراسة " **أهمية مدخلات التطور الحضاري في تقدم البلدان** " واقع المدخلات المادية والمعنوية ذو الأهمية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلاقة العامة لتلك المدخلات ضمن الإطار العام الإسلامي، فإن تلك المدخلات واجبة في التقييم السلوكي والاجتماعي والعلمي للحفاظ على ثوابت الدين الحنيف من حيث كفاءة العمل في الإسلام والعمل المتقن والصالح والحفاظ على السلطة والمسؤولية في مختلف المستويات لتوفير الإمكانيات القادرة على اتخاذا القرار السليم وحرص الإسلام على الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع لإنماء وحدة الشعوب بالمسؤولية والاهتمام بالرقابة الذاتية ومتابعة الإنجاز وفق ضوابط معينة ومحددة يلتزم بها الأفراد وتجري مسائلتهم على مخالفتها كي تُستر الرقابة والمتابعة على معايير خلق توازن النشاطات وإحكام المسؤولية بدقة وإسداء النصح والتوجيه السديد في سائر التصرفات قولاً وفعلاً.

فالأخبار العامة والعمران المدني والحضري وأحداث الماضي هي حقائق لا بد من الوقوف عندها لتحليل تلك الحُقب الزمنية للاستفادة من ذلك الموروث في مفردات الحياة ومفاصلها، فكان هدف هذه الدراسة أن نقدم الوضوح والاعتدال والتسامح في ردود الأفعال والتعامل الصحيح وفق فكرة ودين وتراث ومعتقد سماوي بعيداً عن التطرف والغلو والتعقيد وأن الروح العربية هي بحد ذاتها مادة الإسلام وصرح حضاري عبر العصور الإنسانية البشرية منذ كان الإنسان العراقي يعيش في كهوف وجبال وسهول العراق واستطاع أن يهتدي بل وأهدى الأمم إلى سبيل التعايش السلمي والاستقرار وخلق المجتمعات السكنية والعيش بسلام ضمن الرقعة الجغرافية واحترام العهود والحقوق وصيانة المواثيق.

وأما الهدف الآخر كان علينا إتباع التنمية المستدامة في التطور والاستفادة من الفكر العربي الإسلامي للاستعمال الأمثل وتهيئة البيئة الملائمة برفد الإنسان بالفكر الصحيح والعقل السليم بعيداً عن كل المؤثرات التي لا تصب في مصلحة الأمة لمواجهة التحدي العالمي المادي والفكري.

لقد حقق الإسلام في رؤيته التوحيدية قفزة نوعية وتحولاً فكرياً في أحد الجوانب المهمة في الفكر العربي والإنساني عامة، مستوعباً ما قبله مضيفاً إليه، فقد دفع بفكرة الوحدة الإلهية والتنزيه الإلهي خطوات واسعة إلى الإمام، ويعرض فلسفة تصنع الحكمة من خلالها في الأساسات للدراسات التاريخية فضلاً عن تأكيده علاقة القرآن في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ٨، فالإسلام دين يعتبر التاريخ أساساً في عقيدته، وأفضل الصلاة والتسليم على نبينا محمد وعلى جميع أنبياء الله أجمعين.

وأما عن نطاق البحث:

تركزت الدراسة اعتماداً على ركيزتين أساسية طوقت أو غطت بشكل إلمامة متواضعة توزيع واستعمال مفردات هامة من مصادر ومراجع ذات صلة مباشرة بجمع المادة العلمية معتمداً أسلوب منهج البحث العلمي وتوخي الدقة في التعامل مع النصوص واستخدامها.

فكان المبحث لأول: تناولنا فيه المفهوم الحضاري ومصطلح الحضارة، ثم أهمية مدخلات التطور الحضاري للبلدان..

أما المبحث الثاني: عالجت الدراسة فيه معطيات الصعيد الفكري والروحي والديني التي يتعامل بها الإسلام، وإتمام الدراسة كان للاستخدام الأمثل والأساليب الواجبة في التنمية المستدامة للفكر وبقية فروع المعرفة..

فخاتمة البحث وقائمة المصادر والمراجع.ومن الله التوفيق

المبحث الأول

المفهوم الحضاري

الحضارة : هي مجموعة الأفعال غير الاعتيادية التي يقوم بها الإنسان[١] .

فالأفعال غير الاعتيادية يقصد بها مختلف أنشطة وسلوك الإنسان التي لا تعتبر أفعالاً إنعكاسية فطرية أو غرائزية[٢] .

وهناك من يرى إن المقصود بالحضارة في اللغة العربية هي الجوانب المعنوية غير المادية التي تتعلق بحياة الإنسان، أما المدنية فتشمل المظاهر المادية والتقنية ويرى آخرون إن الحضارات تتمايز من حيث مستوياتها فالحضارة ذات المستوى الراقي هي التي يمكن أن نسميها مدنية[٣] .

ومن مفهوم الحضارة أيضا هو كل ما يتعلق بحياة الإنسان من نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية وفكرية وعلمية[٤] .

وبذلك يمكن التمييز بصورة عامة بين نوعين من أنواع الحضارات البشرية: الأولى: حضارة أصيلة , والثانية: حضارة فرعية، فالحضارات التي تظهر تلقائيا وتنمو دون أن تتصل بحضارات أخرى سابقة لها أو معاصرة فهي من الحضارات الأصيلة .

---

[١] د. عامر سليمان ، موجز تاريخ العراق القديم ، مركز الأبحاث الآثارية والحضارية ، كلية الآداب ، جامعة الموصل، 1977،ص11.

[٢] سليمان، عامر، الفتيان، احمد مالك، محاضرات في تاريخ العراق القديم، مطبعة الديوان، (بغداد، 1993)، ص11 .

[٣] د. تقي الدباغ، أصالة حضارة العراق القديم ، بغداد ،1988م،ج1،ص14.

[٤] د. عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، الموصل ، 1993م،ص11 .

أما إذا كانت الحضارة نتيجة للاحتكاك أو الاتصال بشعوب أخرى لاقتباس معالمها فهي إذا حضارة فرعية[١].

أما مظاهر الحضارة فهي تشمل كافة نشاطات الإنسان الخاصة والعامة أي الأفعال الاعتيادية وغير الاعتيادية التي يحاول من خلالها تقديم وتطوير شيء معين[٢] .

فالنشاط البشري الفردي يتضمن القيام بالأقوال والأفعال التي تهم بناء وتكوين السلوك البشري القوي، وهناك النشاط الجماعي ضمن المفاهيم الفكرية والعلمية المستمدة من الفكر الإسلامي السوي وعلى تفاوت الأشخاص في اعمالهم وأفعالهم وبالتالي يكون التدرج حسب الأعمال والتفاوت في المعرفة والخبرة ومصدرها العلم وكان قول الله تعالى: " نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علمٍ عليم"[٣] وقول الله تعالى: " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"[٤]، فالأفراد سوف يتفاضلون تبعاً لتدرج أعمالهم في الأرزاق والدخول من اجور وأرباح ولذا يقول سبحانه بهذا الصدد: "والله فضل بعضكم على بعضكم في الرزق"[٥]، ففي الإسلام يعتبر العمل وسيلة الكسب التي يستحقها الفرد على قاعدة الأجر المساوي للعمل[٦].

لقد حقق الإسلام في رؤيته التوحيدية قفزة نوعية وتحولاً فكرياً في احد الجوانب المهمة في الفكر العربي والإنساني عامة، مستوعباً ما قبله مضيفاً إليه، فقد دفع الإسلام بفكرة الوحدة الإلهية والتنزيه الإلهي خطوات واسعة إلى الأمام، فجميع الأديان السابقة بما فيها اليهودية التي هي ديانة خاصة ومغلقة، والمسيحية وهي من الأديان القليلة المنفتحة والمشرعة الأبواب، تتأخر عن الإسلام كثيرا في مسألة التوحيد[٧] .

ومن ذلك نجد ((أن الإسلام تميز منذ انطلاقته الأولى بصفة الشمولية أو الكونية الأممية، ليس بتوجهه إلى الأمم والشعوب المختلفة فقط ، بل بأخذه فكرة تدرج المعرفة البشرية و استيعاب المرحلة اللاحقة لما قبلها وتخطيها لها، وإيمانه بوحدة العقل البشري ووحدة العالم رغم وجود خصائص تميز الشعوب والأمم))[٨].

ولقد اهتم المسلمون ((بفلسفة التاريخ وبمعرفة السنن التي جاء بها الإسلام والتي عدت عند بعض الفلاسفة بمثابة قوانين تتحكم في سير الإنسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها والبشرية ومصائرها ، والواقع إن

---

[١] د. فاروق عمر فوزي ، العراق موكب الحضارة ، بغداد ،1988م،ج1،ص5.

[٢] المصدر نفسه ،ص11 .

[٣] سورة يوسف، الآية 76 .

[٤] سورة المجادلة، الآية 11 .

[٥] سورة النحل، الآية 71 .

[٦] عبد الهادي، حمدي أمين، الفكر الإداري الإسلامي والمقارن، ط1، دار الحمامي للطباعة، (القاهرة، د. ت)، ص168.

[٧] زيادة ، د. معن : معالم على طريق الحديث الفكر العربي ، ص97 .

[٨] م. ن ، ص97 .

الإسلام دين يعتبر التاريخ أساساً في عقيدته، ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الإنسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ... هذا فضلا عن تأكيده علاقة القرآن بما في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، وان الإسلام والرسول يتبعان ملة إبراهيم حنيفا مسلما ، ويؤكد با لاستمرار وعلى المسلمين أن ينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، وينظروا إلى مصائر الأمم))[١] .

وكان القرآن قد جاء ((بنظرة عالمية إلى التاريخ تتمثل في توالي النبوات وهي في الأساس رسالة واحدة بشر بها أنبياء عديدون وكان الرسول الأعظم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ منهم، لهذه النظرة أثرها في الالتفات إلى تاريخ الأنبياء والى الإسرائيليات))[٢] .

وأما مفهوم مصطلح الحضارة

حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذاك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال [٣]، وذكر عامر سليمان [٤]: أن المقصود بالحضارة هو مختلف أنشطة وسلوك الإنسان التي لا تعتبر أفعالاً انعكاسية فطرية أو غرائزية، وتشمل الحضارة على مظاهر متعددة منها: اللغة والدين والأخلاق والنظم والعادات والتقاليد القانونية والاقتصادية والاجتماعية والفنون على اختلافها والصناعة وكل ما يجب على الإنسان أن يتعلمه من أخوانه أفراد مجتمعه[٥].

وهنا نسأل متى تكون هناك حضارة مستقلة عن غيرها من الحضارات، وإذا كان هناك انسجام عام في الاتجاه والتماسك أو ترابط بين هذه المظاهرة المختلفة يتبين[٦]:

فالحضارات التي نشأت من حياة بدائية بسيطة دون احتكاك أو اتصال بشعوب أو أمم أخرى أكثر تمدناً وحضارة قد تختلف عن تلك الحضارات التي كانت نتيجة من نتائج احتكاك مجتمع ما بمجتمعات أخرى أكثر

---

[١] الدوري، عبد العزيز وآخرون، تفسير التاريخ ، ص18 .

[٢] الدوري، عبد العزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق(بيروت ، 1983) ص48.

[٣] ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة من كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د. ت، ج1، ص35 .

[٤] سليمان: محاضرات في التاريخ القديم، ط2، مط الديوان، الموصل، د.ت، ص11-12 .

[٥] ابن خلدون، المقدمة، ص407-408 .

[٦] باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ص14 .

حضارة، وأما الحضارات الأصيلة المعروفة الآن في العالم فهي قليلة ومحصورة على ثلاث مناطق في العالم هي[1]:

1 -الشرق الأدنى القديم:

تقع ضمن منطقة حدودها الجغرافية هي خطوط الطول من 10 إلى 70 شرقاً، وخطوط العرض من 10 إلى 45 شمالاً، وتشمل الشرق إلى الغرب من العراق (وادي الرافدين) وآسيا الصغرى وسوريا إلى حدود مصر عند الحدود الشرقية لشبه جزيرة سيناء جنوباً وبعض مناطق شبه جزيرة العرب، هذا في القارة الآسيوية، ثم مصر في آسيا وأفريقيا، ثم قرطاجة في أفريقيا، ثم اليونان وشبه جزيرة إيطاليا وأوربا.

2 -الصين.

3 -جنوب أمريكا.

وهناك من يرى وجود دافع أو حاجز من الغرب بالنسبة لحضارة الصين بينما يكتنف الغموض حضارة جنوب أمريكا[2].

أما حضارة الشرق الأدنى القديم وعلى وجه التحديد حضارة العراق ومصر القديمة فلا يمكن أن يعلل انبثاق المجتمعات المتحضرة فيها على أساس الاحتكاك والاتصال بالخارج بل كانت الحضارة فيها أولى الحضارات الأصيلة، وأن أول ظهور الحضارات كان نتيجة الصراع الطويل الذي خاضه الإنسان ضد تحدي الطبيعة، وها ما فعله الإنسان العراقي القديم والإنسان المصري القديم في تحديهم للبيئة وخلقهم الحضارة العراقية والمصرية القديمة[3].

مدخلات التطور الحضاري للبلدان

تحديد مفاهيم التطور الحضاري المعاصر في البلاد العربية مقابل ذلك في بلدان العالم الأخرى؛ لأنه الفكرة التي اعتمدناها في منهج مبحثنا لها غاياتها وأسبابها ومعالجاتها، فالمدخلات المادية والمعنوية تكمن فيها أهمية فكرية واقتصادية وإسلامية قد تكون سبباً إيجابياً في المخرجات التنموية للموارد البشرية لتحسين الإنتاج ضمن الإطار العام الإسلامي، وقد تكون تلك المدخلات التي لا تمر بمراحل التقييم السلوكي والعلمي الإسلامي لها معطيات لمخرجات سلبية تؤدي إلى انهيار في السلوك الفردي والاجتماعي وبالتالي التأثير المباشر ضد تطور

---

[1] يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص20 .

[2] باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ص153 .

[3] سليمان، عامر، محاضرات في التاريخ القديم، ط2، الديوان، الموصل، د. ت، ص11-12 .

المجتمع والنهوض بمستوى المواكبة للبلدان المتقدمة، فالعلاقة العامة بتنمية المفاهيم بين الأفراد في جميع مجالات الحيات وفق توجيهات الدين الحنيف يحقق مدخلات ومعطيات تنمي العلاقات المشتركة بين الأفراد أنفسهم والمتعاملين منهم مع الجماعة والمنتفعين من نشاطاتها وإنجازاتها[١].

فالفكر العربي الإسلامي الذي جعل القرآن الكريم وسنة الرسول محمد ﷺ مناراً له لم يكن قاصراً في تناول الكل وعرض الشواهد الدالة، فلو عرضنا ما كُتِبَ في القرون السابقة واللاحقة في الفلسفة نجد أن العرب المسلمين لم يبخلوا في التدبر والقدرة على التأويل والتفسير، بيد أننا لا يمكن أن نهمل ما حصلت عليه الفلسفة العربية من انتقاله بعد أن تأثرت مثلها مثل غيرها من مفاصل الفكر الإسلامي بالأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية خلال العهدين الأموي والعباسي، إذ أدت إلى نشوء فِرق ومذاهب متعددة أسهمت كثيراً في المحاججات العقلية، وما نشوء علم الكلام والاعتزال والتصوف ومن بعدهما علم الفلسفة الإنتاج لتلك التطورات، فإذا امتزجت رؤى المؤرخين والفلاسفة لأنه أَن من يتعاطى التاريخ يضع نصب عينه مبدأً فلسفياً يقرر أن مجرى التاريخ البشري عقلاً يقود الجماعات، وإن عقلنا يستطيع دراسة عِلل الحوادث وما يصيب بعض النشاطات البشرية من التوافق أو عدمه[٢].

فقيام الكثير من أبناء مجتمعاتنا العربية والإسلامية بالخوض وراء الأهواء والاتجاهات الفكرية التي لا تمت بالصلة إلى واقعنا بل تريد بالنهوض وبأسباب بعيدة كل البعد عن ما هو مستقلاً عن المجتمع الذي سيؤثر فيه، مع ذلك فالحروب الخارجية والتقلبات الاقتصادية في أي بلد من البلدان المجاورة يمكنه أن يحدث تطورات غير متوقعة نسبياً، ويكون العامل الذي يسود هذه الإجراءات يمكنه أن ينقلب من علة حركة كما كان في صلة – إلى علة بعيدة المدى عن التوازن أو علة التوازن التي يكون مفادها الاستقرار [٣] أولاً وعدم الخوض، والجري لإشباع الرغبات الفردية أو الحزبية أو المصلحية، وبذلك نرى كيف يبدو لنا موضوع تقدم التطور وكأنه تحت تبعيته علة واحدة وهذه ما أسماها العالم (ج. تمور قيقتش)، نظرية العامل المهيمن مسبقاً، وقد استنكرها بوصفها من المسائل الفاسدة في علم الاجتماع وشؤون المجتمع وبناء الأساليب الصحيحة الداعية إلى تحقيق التوازن أو الدافعة إلى بناء أفقي لا يستثني أحداً من البشر ضمن المساحة أو الرقعة الجغرافية المجتمعية[٤]، وبالتالي تؤكد ربط معين يجعله أداة يدافع عن الخط التطوري للأمة تحت تأثير مجمل العوامل التي تمثل خط مرسوم وحيد قد

---

[١] عبد الهادي، الفكر الإداري، ص187 .

[٢] هورس، جوزف، قيمة التاريخ، ص90 .

[٣] شلحتا، يوسف، مدخل إلى علم الاجتماع، تعريب خليل احمد خليل، ط 1، مطبعة سيكو – لبنان، ص161 .

[٤] شلحتا، مصدر سابق، ص169 .

يفضي في كل مكان ودوماً إلى نتائج يجري تنويرها في مصلحة مجرى الأحداث المقبلة حتى يمكن أن يصل بالإصلاح إلى منتهاه سَوِيٍ عقل مقالي وجريء[١].

وهذا توصيف متعدد الأبعاد مستند إلى أبعاد مالية واجتماعية وتقنيات المعلومات وأساليب تشكيل المجتمعات المثالية وحركة الناس والتقارب الثقافي واللغوي والفكري لخلق أرضية تقع في صميم عملية التطور والتنمية لنيل المعرفة وتعزيز جودة تطوير الأساليب والتطبيقات هو ثروة في غاية الأهمية في مجال تنمية القدرات والمهارات إلى نهاياتها القصوى وخبرات متنوعة تكون كفيلة في تهيئة من تتطلع إليهم المجتمعات اليوم .

بهذا نرى كيف نفهم المسائل المتعلقة بالنفس والمصير والحكم الحر لإيقاظ العقل وتمهيد المجال أمام التفكير والسلوك الفردي والاجتماعي حتى نهتدي إلى العقلانية في الدين والمذهب والعرق والجنس واللون كي تمتد إلى جميع مفردات ومفاصل ومؤسسات المجتمعات لدرجة العمق وحسب المعايير الموضوعة لكسب المدخلات الأساسية والشمولية ضمن ثوابت البلدان في عصور مضت انطلقت بدافع إشاعة الأمن والاستقرار والحِفاظ على الثوابت لكل من المكونات وعلى اختلافها والاهتمام بحياة الجماعة التي هي من أساسيات النمو الحقيقي في امتداد الدولة لبناء البنى التحتية والتعايش دون تمييز حتى يحافظوا على المبادئ الحيوية للنهوض بقواعد السلوك الاجتماعي خاضعاً في أساسه للمنظار الفردي [٢]، وحبسه للحرية كي يقود ذلك جملة المدخلات إلى الإنسان المكتفي بنفسه، حتى عندما يغدو سيداً ضخماً تكون تصرفاته محكومة بقانون شرف الأمة والتعايش، وكلما تقيد به أجادة أداة دوره العربي والإسلامي وتكون مشاركته في الجماعة معاشة بشكل جوهري ومناطة بالاهتمام بقيمتها الأخلاقية بشكل أساسي كي يصل إلى ذروة السلم الاجتماعي[٣].

الخدمات العلمية في العراق والمغرب العربي خلال العصر الإسلامي

---

[١] م. ن، ص171 .

[٢] م. ن، ص177 .

[٣] م. ن، ص180 .

المبحث الثاني

معطيات الصعيد الفكري والروحي والأخلاقي والديني التي يتعامل بها الإسلام

من الطبيعي في أي بلد دخلها الإسلام أن يهتم المسلمون بالقرآن الكريم ويعتنوا به عناية فائقة؛ إذ هو دستورهم وقانون حياتهم، وبه انتظمت عقيدتهم، وتوحدت كلمتهم، وعالج شؤون حياتهم، كما انه يعد أصلاً تصدر عنه كل المعارف المختلفة والعلوم المتنوعة والقيم المثلى والمسير وفق ضمان سلامة المجتمع والمال العام والاحترام المتبادل بين الأفراد صغيرهم وكبيرهم من رجل وامرأة مثلما كانت العرب مادة الإسلام، فإنه روح الحضارة الإسلامية التي ازدهرت بعد مجيء الإسلام، فأضاف إمكانات متقدمة في سياق الحركة التاريخية والعمرانية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الإنساني [١]، وتوجيهات الفكر الإداري الإسلامي لمجال الاهتمام بالاستخدام الأمثل للمدخلات سواء موارد بشرية أو موارد مالية تعكس قيماً سامية استهدفها الإسلام تكريماً لآدمية الإنسان وفق منهجه السوي [٢]، فالسلوك الإنساني في مجال العلاقات الفردية أو العلاقات العامة يوجبه الإسلام بالقدر الضروري الذي تفرضه تلك العلاقات وعدم الإسراف في أي يوم من الإسراف المحظور، كما يعرض المسرفين في اتخاذها لغضب وسخط الله سبحانه وتعالى وقوله: "ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين"[٣] .

وأما عن تأثير التطور الذي هو من المعطيات المهمة في التعامل المؤثر مباشرةً في الممارسات الاجتماعية، فإذا ما تذكرنا أن أبناء الشعوب الإسلامية هم من وارثي عدد من أقدم مجتمعات العالم، يعود نشوؤها بلا انقطاع إلى خمسة آلاف سنة وأكثر، وأن هذه الشعوب حافظت رغم الهجرات والثورات على نوع من الاستقرار المذهل، فلا بد لنا من التسليم بأنها على جانب من الحس الاجتماعي المرهف الخليق بالاحترام [٤]، وأن سر نجاح هؤلاء في البقاء يكمن في اعترافهم بأنهم من هيكل اجتماعي – يرتكز أي أساس يتصف بالمرونة كي يقف في وجه الكوارث والأزمات – يكتب له البقاء ما لم يستند إلى الإرادة المشتركة وليس إلى المواقف القسرية، وبما أن الدين هو الوسيلة الأكثر فعالية في تجديد الإرادة المشتركة فإن مجتمعات كهذه من شأنها أن تمازج بين مؤسساتها وتقوي دعائمها عن طريق الاحترام المتبادل وضمان الحقوق العامة والخاصة والاهتمام بتحقيق التوازن لما فيه مصلحة الناس والمجتمع[٥] .

---

[١] أبو عُبيه، طه عبد المقصود عبد الحميد، الحضارة الإسلامية – دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، مط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2004، ج2، ط2، ص482 .

[٢] عبد الهادي، الفكر الإداري، ص180 .

[٣] سورة الأنعام، الآية 141 .

[٤] الآلوسي، حسام الدين، دراسات في الفكر الفلسفي، ص64 [٤].

[٥] حبيب، هـ. آ. ر، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، د. ت، ص40 .

ولقد ذمّ الإسلام التقليد الأعمى وحرّم اعتباره مادة خالصة للإيمان، فالإسلام ينبع من العقل ويقع كله تحت الإدراك ووقف في حبه للآراء المرتجلة وحمل على دعاة الجهل معلناً أن الإنسان لم يخلق ليكون مقوداً بانسجام، بل كان مطبوعاً على انصياعه للعلم المعرفة ومفطوراً على استطلاع دراسة حال الدنيا، يستخرج الأمثلة الناطقة في تاريخ الغابرين[١]، مثل قوم هود وصالح وثمود .....، والإسلام نهانا عن التمسك بما جاء به آباؤنا كقوله تعالى: (وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ)[٢].

ويعلمنا التفكير والاعتماد على أنفسنا بعد الاستفادة من سير الماضي والاتعاظ بالأحداث التي طوتها سدال التاريخ، وهو أيضاً يطلق العقل من سلاسل قيوده ويحرره من المحاكاة العمياء التي كتمت نشاطه وحدت من حيويتهن ثم يقيمه حكماً يقضي بالقسطاط المستقيم، أو يقرر بما أدنى من حكمه أو يفصل، فليس للعقل أن يقف خاضعاً إلا أمام الله وحده وأصول الدين التي نزل بها القرآن الكريم[٣].

ومن ذلك نجد إن الإسلام تميز منذ انطلاقته الأولى بصفته الشمولية أو الكونية الأممية ليس بالتوجيه إلى الأمم والشعوب المختلفة فقط، بل بأخذه فكرة تدرج المعرفة البشرية واستيعاب المرحلة اللاحقة لما قبلها وتخطيطها له، وإيمانه بوحدة العقل البشري ووحدة العالم رغم وجود خصائص تميز الشعوب والأمم[٤].

الاستخدام الأمثل والأساليب الواجبة في التنمية المستدامة للفكر وبقية فروع المعرفة:

إن جذور التعايش السلمي ليس وليدة أو ابتكار بل هو موروث تعاملت به الأجيال عبر العصور منذ اهتدى الإنسان لتكوين أسرة ومجتمع وهذا ما حصل في كهوف وسهول أرض العراق وفي بلاد وادي الرافدين التي احتضنت أولى المستوطنات السكانية وبناء الأسرة والتعايش المستدام عبر الأجيال وكان ذلك صفة بدأت بها المجتمعات العراقية منذ نشأتها الأولى[٥]، وعلى هذا الأساس كان المجتمع العراقي مميز عن غيره من المجتمعات في العصور السالفة بل كان فريداً في استخدام الطرق السليمة والأساليب المثلى في بناء وتكوين روابط اجتماعية وقيم ومعرفة متبادلة ليس بين أفراد الأسرة الواحدة، بل امتد ذلك إلى العالم البيزنطي حامل الفكر الإغريقي ولم يتوقف عند هذا، بل كان الاتصال ببلاد فارس التي كانت تدين بعديد الديانات الوضعية[٦].

---

[١] حبيب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص71 .

[٢] سورة هود: الآية89 .

[٣] حبيب، الاتجاهات الحديثة، ص71 .

[٤] زيادة، معن، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص97 .

[٥] سليمان، عامر، محاضرات، ص12 .

[٦] شلحتا، يوسف، مدخل إلى علم الاجتماع، مط سيكو – لبنان، ط1، (د. ت)، ص170 .

وكان اهتمام الإسلام بالسلام هو من المثل العليا فقول الله تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[١]، وأوصى الرسول الكريم محمد ﷺ بالتعامل وفق الاحترام المتبادل وعدم الاعتداء على الآخر، ونهى عن الاستغلال وعدم التوافق الذي يجر إلى خلق النزعة والعصبية والتفرقة،وكان ذلك في مواطن كثيرة من كتب الحديث والسيّر والمغازي، ففي الإسلام الناس أخوَّه كما ذكر الرسول الكريم محمد ﷺ : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٢]، فضلاً أن التعايش لا يقتصر على أبناء الدين الواحد بل أوجب الإسلام أن يكون التعامل بين الناس وفق المعطيات الحسنة وهذا ليس محصور أو موجه إلى فئة أو طائفة معينة بل لعامة الناس وتحكي الوقائع التاريخية المزدحمة وأحداثه المتلاحقة ومعطياته المتمخضة عن القيم والعِبر والدلالات التي تنتقل بحرية بين الأزمان فيلغي الحواجز ويزيل المتاريس، ويمضي يحدثنا عن وقائع الكون والحياة والعالم الماضي وكأنه أمام أعيننا في تناول وعرض الشواهد لأجل التدبير والقدرة على التأويل والتفسير، ولشمولية الإسلام ونظرته للحياة المتمثلة بكونه نهج من الحياة حسب القوانين التي سنها الله لخلقه، وما عمله الأسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية[٣].

خاتمة:

من خلال الدراسة والبحث نبين ما تم التوصل إليه في هذه الدراسة:

- وجهة النظر التي يدافع عنها في مجال الاهتمام بالنوعية والاستعلامات الفكرية والمادية توجب الوقوف عند الأسس والمبادئ السامية للدين الإسلامي الحنيف.
- من خلال الدراسة والبحث وجدنا خطورة الطب البشري لا تقل شيئاً عن المخاطر الفكرية والعصبية والجزئية والمصلحية في بناء الأمم.
- مرضاة النفس البشرية على حساب اهواء الناس أو معتقدهم لا يصب في مصلحة الأمة ولا الدين الإسلامي القويم وهذا يقطع جذور الاتصال والتعامل والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد وأفراد الأسرة الواحدة.
- الابتعاد عن استخدام الأساليب والمعالجات الواجبة في تنمية الفكر العربي الإسلامي يصب في مصلحة التحدي العالمي للأمة.
- االمفهوم الشامل للتنمية الفكرية المستدامة تشترط اتقان العمل وتبسيطه؛ لأن خدمة الناس جعلها الإسلام من قبيل العبادة.

---

[١] سورة لأنفال: الآية61 .

[٢] رواه البخاري في صحيحه في المظالم وفي الإكراه ومسلم في كتاب البر والصلة

[٣] أسد، محمد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، دار العلم، ط9، (بيروت، 1977)، ص22 ؛ ينظر: خليل، عماد الدين، حوار في المعمار الكوني، دار الثقافة، (قطر، 1987)، ص110 و ص116 .

– لا شك أن إجراءات تقدم البلدان وخطوات الاستعمال الأمثل للمدخلات تؤدي إلى تيسير التعامل وسرعته للوصول إلى سلامة المعطيات وضمانها في مجال الخبرة والجودة والعلم والمشورة فتكون الوسيلة في ذاتها غاية.

فبناء مجتمع حضاري يستطيع مواكبة ما يدور في البلدان المتقدمة اليوم لا بد من مراعات التحديات التي تواجه امتنا وتحميلها بمقابل الاعتماد على النوعية لا الكمية سواء في الأفراد أو الموارد الأخرى والتركيز على الأسس العلمية في البناء الفكري والاجتماعي حتى تتمثل سلامة تلك المدخلات مادياً ومعنوياً للوصول إلى ثمار تتمثل إيجابياً بمعطيات ناجعة في خدمة الأمة والبناء لاكتساب سائر المعارف النظرية والعلمية النافعة لتحقيق كفاية الحاجات الإنسانية، فالرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى بعضها عن بعض.

ومن الله التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1 – الآلوسي، حسام الدين، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، مط دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992م .

2 – ابن خلدون العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة من كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د. ت، ج1 .

3 – أبو عُبيه، طه عبد المقصود عبد الحميد، الحضارة الإسلامية – دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، مط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2004، ج2، ط2.

4 – أسد، محمد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، دار العلم، ط9، (بيروت، 1977).

5 – الدوري، عبد العزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق(بيروت ، 1983).

6 – باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1.

7 – تقي الدباغ، أصالة حضارة العراق القديم، ج1، بغداد، 1988م .

8 – حبيب، هـ. آ. ر، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، د. ت .

9 – خليل، عماد الدين، حوار في المعمار الكوني، دار الثقافة، (قطر، 1987).

10 –زيادة ، معن : معالم على طريق تحديث الفكر العربي .

11 –سليمان، عامر: محاضرات في التاريخ القديم، ط2، مط الديوان، الموصل، د.ت .

12 –سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، الموصل، 1993م.

13 –سليمان، عامر، موجز تاريخ العراق القديم، مركز الأبحاث الآثارية والحضارية، كلية الآداب ، جامعة الموصل، 1977.

14 -شلحتا، يوسف، مدخل إلى علم الاجتماع، تعريب خليل احمد خليل، ط1، مطبعة سيكو – لبنان.
15 -فوزي، فاروق عمر ، العراق موكب الحضارة، ج1، بغداد، 1988م.
16 -لوبون، غوستاف، حضارة العرب، مط دار إحياء التراث العربي، ترجمة: عادل زعيتر، بيروت – لبنان، ط3، 1979م .
17 -هورس، جوزف، قيمة التاريخ، (د. ط)، (د. ت) .
18 -يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م .

الخدمات العامة في موانئ المغرب العربي خلال العصر الإسلامي